منشورات مركز الإمام الألباني: (٥)

رمضان (١٤٢٢هـ)

شهر الصيام

فضائل وأحكام

إعداد

لجنة البحث العلمي ، وتحقيق التراث الإسلامي

مركز الإمام الألباني

للدراسات المنهجية ، والأبحاث العلمية

عمان - الأردن

تلفاكس: (٠٠٩٦٢ - ٦ - ٥٠٥٤٠٥٣)

www.albani-center.com

albani1421@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أمّا بعد:

فإنّنا نستقبلُ ضيفاً عزيزاً لا يَفِدُ إلينا إلا مرَّةً في العام، يزورنا غِبّاً؛ فنكون أشدَّ له حُبّاً، ضيفٌ تخفق بحبه القلوب، وتشرئبُّ إليه الأعناق، وتتطلّع الأعين لرؤية هلاله، وتتعبّد النفوسُ المؤمنة ربَّها بذلك.

وهذا الضيف الكريم المبارك يعرفه المؤمنون حقاً؛ لأنهم هم أنفسَهم الذين يؤدّونه حقَّه، ويقدّرونه قدره؛ فيكرمون وِفادَتهُ صدقاً وعدلاً.

والله -تعالى- قد رفع قَدْرَ هذا الضيف في القرآن، وعلى لسان النبي العدنان ﷺ، فجعل الخير كله فيه؛ في أوّله ووسطه وآخره؛ قال -تعالى-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «لله عتقاءُ من النار، وذلك في كلِّ ليلة».

. . . فلا شكَّ أنّك عرفت -أخي المسلم- مَن هو هذا الضيف!!

إنّه شهر رمضان المبارك . . .

تُرى؛ ما هي خصائصُه؟ وما هي فضائلُه؟! حتى تستعدَّ لاستقباله، وتُشمِّر عن ساعد الجد لاهتباله؛ لتنال ما أودع الله فيه من خير وبركة ورحمات.

هذا الشهر أنزل اللهُ القرآنَ فيه، ولو لم يكن فيه إلا هذا الفضل لكفى، فكيف وفيه ما اللهُ أعلم به من مغفرة الذنوب، ورفع درجات المؤمنين، ومضاعفة الحسنات، وإقالة العثرات . . .

وهو شهرٌ تُفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتُصفّد فيه الشياطين، ينزل فيه ملكان، يقول الأول: يا باغي الخير أقبل، ويقول الثاني: يا باغي الشر أقصر.

فيه ليلةٌ من حُرمَها حُرم خيراً كثيراً؛ ليلةٌ يُفرَقُ فيها كل أمرٍ حكيم.

إنّها ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر.

وإنَّ الوقوف على هديه ﷺ في كلِّ طاعة أمرٌ في غاية الأهميَّة، خصوصاً هديه في شهر رمضان؛ لأنَّ العمل الصالح لا يُرفع للعبد إلا إذا أخلص فيه لله، وجرَّد المتابعة لرسول الله ﷺ؛ فالإخلاص والمتابعة هما ركنا قَبول العمل الصالح، وهما كجناحي الطائر، فهيهات أن يُحلِّق الطائر بجناح واحد!!

وفي هذه السطور نقف وإيّاك -أخي المسلم- على أحواله ﷺ في رمضان -باختصارٍ واعتصارٍ-؛ لتكونَ على بيِّنةٍ من هديهِ -صلوات الله وسلامه عليه-، فمن لم يكن مع الرسول ﷺ في هديه في الدنيا لم يكن معه في دار الكرامة في الآخرة؛ إذ الفلاح في اتباع رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، ولا يُنال ذلك إلا بالعلم النافع، ولا يُوجد علمٌ نافعٌ إلا بعمل صالح، فثمرةُ العلمِ النافعِ العملُ الصَّالحُ.

فيا عبدالله! إليك أحوالَه[1] -ﷺ وهديَه- في رمضان؛ لتتأسى به؛ فتنالَ محبَّته وتُحشر معه:

- كان ﷺ لا يصوم حتى يرى الهلال رؤيةً مُحَقَّقةً، أو بإخبار العدل، أو بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً.
- وكان ﷺ يكتفي -للرؤيةِ- بشهادة الواحد، وفي هذا حُجَّةٌ على قَبول خبر الواحد.

وثبت أنَّ الأمَّة صامت برؤية أعرابي جاء من البادية؛ فأخبر النبيَّ ﷺ أنه رأى الهلال، فأمر ﷺ بلالاً أن يؤذن بالصيام.

- وكان ﷺ ينهى أمّته أن تتقدَّم رمضان بصوم يوم أو يومين؛ احتياطاً وتعمقاً؛ لذلك نهى عن صيام يوم الشك.
- وكان ﷺ يُبيّت النيَّةَ من الليل قبل الفجر، وأمر أمّته بذلك.

---

(١) وكلُّ ما في هذا النشرة أحاديثُ صحاح، معظمُها في «الصحيحين» أو أحدهما.

وهذا الحكم من خصوصيات صيام الفريضة، أمَّا صيام النافلة؛ فلا يشمله هذا الحكم.

❑ وكان ﷺ لا يُمسك عن الأكل والشرب والمفطِّرات حتى يرى الفجر الصادق رؤية مُحقَّقَةً؛ عملاً بقول اللهِ -تعالى-: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾. [سورة البقرة: ١٨٧]

وبيّن ﷺ لأمّته أنَّ الفجر فجران: صادق وكاذب، فالكاذب لا يحرم طعاماً، ولا شراباً ولا جِماعاً، ولم يكن ﷺ يُشَدِّد على أمته في رمضان ولا في غيره، فلم يشرع لهم ما سُمِّيَ -بغير حقّ- أذان الإمساك!

❑ وكان ﷺ يُعجِّل الفطور ويُؤخِّر السّحور، ويأمر أمَّته بذلك، قائلاً: «لا تزال أمّتي بخير ما عجلوا الفطر».

❑ وكان بين سحورِه ﷺ وقيامه لصلاة الفجر قَدْرُ قراءة خمسين آية؛ لأن من عادتهم وقتئذٍ قراءة القرآن وتدبّره؛ فرمضان شهر القرآن.

❑ وأمَّا أخلاقه ﷺ: فحدِّث عن حُسنها ورِفعتها ولا حرج؛ فقد كان ﷺ أحسن الناس أخلاقاً، كيف لا وقد كان خُلُقُهُ القرآن -كما وصفته أم المؤمنين عائشة-.

وقد أمر ﷺ أمَّته بحُسنِ الخُلق -خصوصاً الصائمين منهم-؛ فقال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

❑ وكان يتعاهدُ أهله ويُحسن عِشرتهم -في رمضان- أكثر من غيره.

❑ وكان لا يمنعُه الصيامُ من تقبيل أهله ومباشرتها -دون الجماع-، وكان أملكَ النَّاس لإرْبِه، ويُكره ذلك للشاب.

❑ ولم يكن يدع السِّواك في رمضان وغير رمضان -لا في أول النهار، ولا في آخِره-؛ يُطهِّر به فاه ويُرضي ربَّه.

❑ وكـان ﷺ قد احتجم وهو صائم، ورخّص بالحجامة للصائم؛ وخلافُ ذلك منسوخٌ.

❑ وكـان ﷺ يُجـاهد في رمضـان، ويأمر أصحابه بالفطرِ؛ لِيَقْوَوا عـلى ملاقـاة عدوِّهـم، ولا يفـرُّوا إذا لاقَـوْهُ؛ فرمضـان شـهر الجهاد والاستشهاد.

ومِـن رحمـته ﷺ بالأمّـة أنْ رخَّـص للمسافر بالفطر، وللمريض، والشـيخ الفـاني، والمـرأة العجـوز، والمرأة الحامل أو المرضع، فيقضي المسافر، ويُطعم الشيخ الفاني، والحامل أو المرضع.

❑ وكان يجتهدُ في العبادةِ والقيام في رمضان ما لا يجتهد في غيره؛ خصوصاً في العشر الأواخر يلتمس ليلة القدر.

❑ وكان يعتكفُ في رمضان؛ وخصوصاً في العشر الأواخر.

واعـتكف في العـام الذي تُوفي فيه عشرين يوماً، وكان لا يعتكف إلا صائماً.

❑ وأمّـا مدارسـته للقـرآن: فـلم يكن أحدٌ يجتهد اجتهاده، وكان جبريلُ يلقاه فيدارسه القرآن في رمضان لأنه شهر القرآن.

❑ أمّا جودُه وكرَمُهُ في رمضان فلا يُوصف؛ فقد كان ﷺ كالريح المرسلة بالخير؛ لا يخشى من ذي العرش إقلالاً.

❑ وكـان ﷺ أعظـم المجـاهدين، ولم يمنعه الصيامُ من المشاركة في الغـزوات، فقـد غـزا سـتّ غـزواتٍ في تسـع سـنواتٍ؛ كلّها في شهر رمضـان، وقام بأعمال جِسامٍ في رمضان، حيث هدم مسجد الضّرار، وهـدم أشـهَر أصنام العـرب، واسـتقبل الوفـود، وفتح مكة في رمضان.

والخلاصـةُ: أنّ شـهر رمضـان شـهرُ اجـتهادٍ وتضـحية في حياة الرسـول ﷺ؛ لا كمـا يفهمُ (ويفعل) كثيرٌ من مسلمي زماننا أنّه شهرُ دَعَةٍ وكسلٍ وخمولٍ وبطالة!!

وظائف المؤمنِ في شهرِ الصّيامِ:

وللمؤمنِ في شهرِ رمضان وظائفُ شرعيّة، بيّنها له رسولُ الله ﷺ في سنّته القوليّة، وسيرته العمليّة، إذ هو «موسم الخيرات؛ لأن نِعَمَ اللهِ على عباده -فيه- زائدةٌ على غيرِهِ» - كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٣١).

وهذه الوظائفُ تنتظمُ أموراً مِن الأحكامِ الشرعيّة تشملُ شهرَه كلّه؛ مُفْعَمة بصنائعِ البرِّ، وأعمال التقوى:

أولاً: الصّيام:

وفضلُه -عُموماً- عظيمٌ، لقولهِ ﷺ -فيما يرويه عن ربِّه-: «كُلُّ عَمَل ابن آدمَ له إلا الصيام؛ هو لي، وأنا أجزي به، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه لَخُلُوف فم الصائم أطيب عندَ اللهِ من ريح المسك».

ويبيّن ذلك المعنى: الروايةُ الأخرى: «كلُّ عملِ ابن آدمَ يُضاعَفُ، الحسنَةُ بعشْرِ أمثالها، إلى سبع مئة ضعفٍ، قالَ الله -تعالى-: إلا الصومَ؛ فإنه لي، وأنا أجزي به . . .».

وفوق هذا الفَضْل -بعمومِه- الفضلُ الخاصُّ الواردُ في شهر رمضانَ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ : « مَن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبِه».

ويقولُ ﷺ: «شَهرُ الصَّبر، وثلاثةُ أيّام مِن كُلّ شهرٍ صومُ الدَّهر».

و (شهر الصبر): شهر رمضان.

قال ابنُ عبدالبرِّ -مُبيّناً-: «والصومُ في لسان العَرَب -أيضاً- الصَّبرُ؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ، وقال أبو بكر ابن الأنباري: الصوم يُسمّى صبراً، لأنه حبسُ النّفسِ عن المطاعم والمشارب، والمنكح والشهوات».

ثانياً: القِيام:

وهـو سُـنَّةٌ في جماعـةٍ طيلةَ الشهرِ المبارك، لقوله ﷺ: «إنّه من قامَ مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيامُ ليلةٍ».

وفي فضـله يقـولُ ﷺ: «مَن قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه».

وأكـــملُ الهـدي في العَدَدِ الـذي يُصلَّى فيـه القيـامُ في رمضـان -وغـيره- مـا صـحَّ عـنه، وثبـت مِـن فعلهِ ﷺ -مِن صلاةِ الإحدى عشرة ركعةً-؛ لأنّه ﷺ الأُسوةُ الكاملةُ، والقدوةُ التامَّةُ.

ثالثاً: الصَّدقة:

إذ الرسولُ ﷺ كانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ.

وهذا الجودُ يشملُ جميع معاني الصدقةِ، وأعمالِ الخيرِ؛ إذ «الجودُ هـو سَعَةُ العطاءِ وكثرتُه»، وهذا شاملٌ لكثير من أعمال البرِّ، وصنائع المعروف.

رابعاً: تفطير الصّائم:

فقـد حـضَّ عـلى ذلـك رسولُ اللهِ ﷺ، ورتَّب عليه كثيرَ الأجرِ، وعظيمَ الثوابِ، فقال ﷺ: «مَن فطَّر صائماً كان له مثلُ أجرهِ، غيرَ أنّه لا يَنقُصُ من أجرِ الصائم شيئاً».

خامساً: قراءةُ القُرآن:

فشـهرُ رمضـان هـو شـهرُ القـرآن، وذلك كما في قوله -تعالى-:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾. [البقرة: ١٨٥]

وفي السُّنّة العمليَّة للنبي ﷺ تطبيقُ ذلك، فقد كان جبريل يُدارسُ النبي ﷺ القرآن في كل ليلةٍ مِن رمضانَ.

سادساً: العُمرة:

فقـد روى الشـيخانِ عـن الـنبي ﷺ، أنّـه قال: «عُمرة في رمضانَ تعدل حَجَّةً معي».

ولا يفوتنا التّنبيه -ها هنا- إلى أنّه لا فضلَ -خاصٌّ- للعمرة في العشر الأواخر مِن رمضان، فتنبّه!

فانظروا -رحمكم الله- لهذا الفضلِ العامِّ ما أعظمَه، وما أفضلَه!

سابعاً: تحرّي ليلة القَدْر:

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. [سورة القدر: ١-٥]

وفي «الصحيحين» أنّ النبي ﷺ قال: «مَن قامَ ليلةَ القَدْرِ إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه».

وهي في وتر العشر الأواخر مِن رمضانَ.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «يا رسول الله! إنْ وافقتُ ليلةَ القدر؛ ما أقول؟

قال: «قولي: اللهمَّ إنّك عَفُوٌّ تحبُّ العَفو فاعفُ عَنّي».

. . .ومّما يجبُ التحذير منه -عموماً- وفي شهر رمضان -خصوصاً- في هذا المقام -روايةُ الأحاديث الضعيفة، والموضوعة؛ وهذا قد يدخل في باب الكذب على النبي ﷺ . .

ومّما اشتهر هذه الأيّام -وبخاصّةٍ بسبب الفتن التي يعيشها المسلمون!- حديثٌ يُنسب إلى رسول الله ﷺ، أنه قال: «يكون صوت في شهر رمضان»، قالوا: يا رسول الله! في أوله، أو في وسطه، أو في آخره؟ قال: «لا؛ بل في النصف من رمضان؛ إذا كان ليلة النصف من رمضان ليلة الجمعة: يكون صوت من السماء، يُصعق له . . . ثم يتبعه صوت آخر . . . والصوت في رمضان، والمعمعة في شوال، وتمّيز القبائل في ذي القعدة . . .» إلى آخره! وله عدّة ألفاظ!!

وهو حديث مكذوب؛ كما قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٩١)، والجورقاني في «الأباطيل» (٢/ ٨٢) . . .

* وهناك بدع ومحدثات - تتعلق بالصيام والقيام في رمضان- تخفى على كثير منها؛ نحن نذكرها لِتُحذر الناس منها:

- تعجيل السّحور، وتأخير الفطور!
- الإمساك عن الأكل والشرب عند الأذان الأوّل -الذي يسمونه (أذان الإمساك)-!
- إخراج الطعام والشراب من الفم إذا سُمِع الأذان!
- تقديم الأذان عن موعد الفجر الصادق -زعموا - احتياطاً-!
- التلفظ بالنّية عند السحور!
- تأخير الإفطار -بدعوى تمكين الوقت-!
- توحيش الخطباء على المنابر في آخر رمضان، حيث يقولون: لا أوحشَ اللهُ منك يا رمضان، لا أوحش الله منك يا شهر القرآن!
- الإمساك عن التّسوك بعد الزّوال!
- نَقر صلاة التّراويح كنقر الغُراب؛ فإن بعض الأئمة يصلّون التّراويح ثلاثاً وعشرين ركعة في أقل من ثلث ساعة!
- الاقتصار على سورة معيّنة في صلاة القيام؛ فبعض الأئمة يقرأ في التراويح -كلّها- بسورة الفجر، أو الأعلى، أو ربع سورة الرّحمن!
- الفصل بين كل ركعتين بقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، ثم الصلاة والسّلام على رسول الله!
- قولهم بعد الأربع ركعات الأولى: شيخ التحقيق أبو بكر الصدّيق ترضّوا عنه! وبعد ثمان ركعات: شهيد المحراب عمر بن الخطاب ترضّوا عنه! وبعد اثنتي عشرة ركعة: ذو النورين عثمان بن عفان ترضّوا عنه! وبعد ستّ عشرة ركعة: الإمام علي بن أبي طالب ترضّوا عنه! وفي ذلك كلّه يقول المصلّون بصوت جماعيّ مُرتفع، وعلى نغمةٍ واحدة: رضي الله عنه!

- تخصيص صلاة التسابيح في رمضان، وصلاتها جماعةً، أو تخصيص صلاتها ليلةَ القدر!

* ومن ذلك صلوات مبتدعة مخصوصة في رمضان:

-صلاة ليلة القدر المسمّاة: صلاة القدر!

-صلاة الجمعة اليتيمة! وهي آخر جمعة في رمضان، ويصليها هل كلّ بلد في مسجد مخصوص، فأهل مصر يصلونها في جامع عمرو، وأهل فلسطين يصلّونها في المسجد الإبراهيمي، أو المسجد الأقصى!

-صلاة المكتوبات الخمس عقب صلاة الجمعة اليتيمة؛ زاعمين أنها تُكفّر الذنوب، أو تُكفّر الصلوات المتروكة!

○ وسائر هذه البدع موجوةٌ في معظم البلاد، وبعضها يوجد في بعض البلاد دون بعض . . . ولو استقصينا ذِكرَ البدع كلّها في جميع البلاد لخرجت هذه الرسالة عن مقصودها ومُرادها؛، وإنّما المراد التّنبيه والتّذكير.

□ فهذا -أخي المسلمُ- مُختصرٌ مِن القولِ حول هدي النبيِّ ﷺ في شهر رمضان، وما ينبغي على المسلم سلوكه من وظائف شرعيّةٍ في هذا الشهر المبارك، وما يجبُ عليه اجتنابُهُ من بدعٍ ومخالفات . . .

وأمّا الوظيفةُ الكاملةُ التي يجب على المسلم حفظُها في شهرِ الصّبر هذا -والمداومةُ عليها-؛ فهي: الكَفُّ عن المساوئ، والصبرُ على الأذى، وحفظُ الباطن، وأداءُ حقّ الظاهر بالالتزام بأحكام الإسلام والاتباع لسنّةِ النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.